

عندما يكون يومك إحساساً مستمراً بعظمة الله



◀ يريد الله سبحانه من الإنسان أن يبدأ صباحه بالتسبيح، ويبدأ مساءه بالتسبيح (وَسَبِّحْ حُوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الأحزاب/ 42)، فالتسبيح هو استشعارك لعظمة الله، وبذلك تكون ساعات يومك حركة في الإحساس بعظمة الله، بحيث تفقد الإحساس بعظمة غيره، ولا يبقى في قلبك إلا حب الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة/ 165)، على أساس ما يتصف به سبحانه من صفات العظمة التي يمتلكها العقل، ويخشع لها القلب، وتنحني لها الإرادة. وهكذا فإنَّ تَمَنُّدَ لِّلْإِنْسَانِ لعظمة الله سبحانه يمنعه من أن يعصي ربَّه وينحرف عن دربه في أن يطيع غيره في معصيته، أو يسحق إرادته الشخصية تحت إرادة غيره بتمرده على إرادة الله. فمسألة الإحساس بعظمة الله لها دور حركي وعملي في حياتنا، فهي ليست مجرد حالة نفسية أو قلبية نتحسسها، بل هي حركة ننضبط ونتوازن من خلالها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحْ حُوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الأحزاب/ 41-42)، اذكروه تعالى وأنتم في أعمالكم وأشغالكم، اذكروه وأنتم في لذاتكم، اذكروه دائماً حتى يشرق نوره سبحانه في عقولكم وقلوبكم وحياتكم، لتسيروا على أساس النور الذي يجريه من خلال ذكره في حياتكم، وهكذا في التسبيح (هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب/ 43)، فإذا كنت المؤمن الذي يذكر الله ويسبحه، فإنَّ الله يصلِّي عليك، تماماً كما يصلِّي على رسوله، فإنَّ الله يصلِّي على رسوله (ص) لأنَّه بلغ الرسالة وأخلص في تبليغها، ولأنَّه عبده الذي أطاعه، كما لم يعبد غيره ويطيعه أحد، ولأنَّه جاهد في سبيل الله، كما لم يجاهد في سبيله أحد، فإذا كنت المؤمن الذي يذكر الله فيطيعه، ويسبح الله فيخضع له، فإنَّ الله يصلِّي عليك، وصلاة الله عليك، هي غفرانه لك ورضوانه عليك وارتفاع درجتك عنده في الدنيا والآخرة. فإنَّ، هو الذي يصلِّي عليك أيها المؤمن إذا سرت في خطئ الإيمان، وملائكته يصلُّون عليك أيضاً (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) (الأحزاب/ 43)، ما هو هدف هذه الصلاة ومهمتها؟ إنَّ الله تعالى إذا أنعم بصلاته عليك، وبمغفرته ورضوانه ورحمته ولطفه، فإنَّه يلقي في عقلك وقلبك وحياتك نورا، فتخرج من الظلمات إلى النور. لهذا، أن تكون مؤمناً، وبمقدار ما تكون مشرق العقل والقلب والروح بالله. فإنَّ سبحانه وتعالى أراد للمؤمنين أن يتحرروا في خطئ الإيمان من أجل أن يعيشوا في نورٍ من إيمانهم، نور يشرق في الدنيا، فيدلُّهم على الطريق الواضح، ونور يشرق في الآخرة فيهديهم إلى طريق الجنة.

وفي آية أخرى يحدِّثنا القرآن أنَّ الله يصلِّي على جماعة من الناس لميزة في أنفسهم لا ميزة مثلها (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 155)، الصابرين على نقاط ضعفهم وعلى شهواتهم، والصابرين على ما يُساء إليهم، وعلى الضغوط التي توجَّه لهم، والصابرين في البأساء والضراء، والصابرين على طاعة الله وعن معصيته، والصابرين على البلاء والمصائب (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لَنَسَاءٌ لِّلَّهِ وَنَا لِرَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقرة / 156-157)، كلما كنت صابراً أكثر، كلما صليت أكثر (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب / 43)، هناك صلوات ورحمة، وهنا أيضاً يصلي على المؤمنين ويرحمهم في كلِّ أمورهم، في الدنيا وفي الآخرة. لذلك، نحن كمؤمنين إذا أحسنا الإيمان، فإننا لا نخاف من القبر ولا نسقط أمام خوف المحشر، لأننا نوقن برحمة الله، فنحن في الحياة ورغم ما يصادفنا من عقبات ومشاكل، نشعر بأننا نتقارب في رحمة الله، لأن رحمة سيقت غضبه، وليست رحمة الله في الدنيا وحسب، بل في القبر والمحشر والحساب رحمة. وبهذا تنفتح كلُّ حياتنا لرحمته، وتخضع كلُّ قلوبنا للخوف من نعمته، لأننا يجب أن نعيش التوازن في هذه المسألة.

وهؤلاء الذين يصلي الله عليهم ويرحمهم (تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوُوهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) (الأحزاب / 44)، هذا لقاء العبد مع سيده، ولقاء الدنيا، ويعطيهم السلام تحية منه في الآخرة (سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا تُمْرُقِعِينَ الَّذِينَ الدَّارِ) (الرعد / 24)، فالسلام من الله، والسعادة والنعمة والرضوان من الله (تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوُوهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) (الأحزاب / 44)، الأجر الكريم الذي ينطلق من خلال طبيعته من كرم الله الذي لا حدَّ له في كلِّ رضوانه ورحمته. ►

المصدر: كتاب من عرفان القرآن